مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:03 السنة:2021 الصفحة:258–277 تاريخ النشر:20–12–2021

مقاربة دلالية للقرآن الكريم ــ قراءة في منظور توشيهيكو إيزوتسو ــ
The semantic approach of the holy Quran - reading inToshihiko Izutsu's perspective

د. سارة بوفامة
boufamasara@gmail.com
جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية- قسنطينة

تاريخ الإرسال: 2021/07/12 **تاريخ القبول: 2021/10/28**

الملخـــص:

تقدم هذه الدراسة المنهج الدلالي الذي اعتمده الباحث اللغوي الياباني المستعرب توشيهيكو إيزوتسو (1914–1993)، والذي يتمثل في المقاربة الدلالية للقرآن الكريم من أجل فهم الرؤية القرآنية للعالم،

حيث وقف عند الحقول الدلالية المشكلة للنص القرآني ووضعها في تقابل مع الألفاظ نفسها في الحضارة الجاهلية، منطلقا من فكرة مفادها أن المفردة لا تتشكل دلالاتها من فراغ وإنما الدلالات تتشكل ضمن نظام معرفي معين. والنظام القرآني كما أسس لسلطة جديدة عقائديا وفكريا واجتماعيا واقتصاديا... فقد أسس ذلك بسلطة لغوية جديدة تمثلت في ظاهرة الإعجاز.

وقد تخيرت بعض النماذج التي وظفها توشيهيكو لإظهار الخصوصية القرآنية اللغوية والمفاهيمية ضمن النظام اللغوي القرآني المعجز، والتي اصطلح عليها بالكلمات المفتاحية .

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:03 السنة:2021 الصفحة:258–277 تاريخ النشر:20–12–2021

الكلمات المفتاحية: علم الدلالة القرآني، الحقل الدلالي، الرؤية القرّآنية للعالم، توشيهيكوإيزوتسو.

I. ABSTRACT:

This study presents the semantic approach adopted by the Japanese language researcher Toshihiko Izutsu (1914-1993), which is the semantic approach of the Holy Qur'an in order to understand the Koranic vision of the world.He addressed the semantic fields that form the Koranic script and placed them in line with the same words of the pre-Islamic civilization, proceeding from the notion that the word's semanticsdo not form out of a vacuum but rather semanticsform within a particular cognitive system.In addition to establishing a new ideological, intellectual, social, and economic authority, the Koranic system established a new linguistic authority, namely the phenomenon of miracles.Some of the models that Toshihiko used to show the linguistic and conceptual Koranic specificity within the miraculous Koranic linguistic system, which he termed keywords, were chosen.

Keywords: Koranic semantics, semantic field, Koranic vision of the world, Toshihiko Izutsu.

المقدمـــة:

يعد القرآن الكريم معجزة خاتم الأنبياء والمرسلين، يتميز عن سائر المعجزات التي أسندت لسابقيه من الأنبياء والرسل بالخلود وتخطي حدود الزمان والمكان لذا كان ولازال يستقطب أنظار الباحثين والمفكرين في شتى التخصصات لاكتناه سره والغوص في خباياه، ولأنه نص معجز في شكله ومضمونه ومعانيه ودلالاته فهو نص معنى بامتياز نجد اللغويين من المسلمين وغيرهم قد سعوا للنظر فيه. وكما أثار عنايتهم قديما فهو نص

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:03 السنة:2021 الصفحة:258–277 تاريخ النشر:20–12–2021

حيوي اليوم للدراسات الحداثية، فهل تقدم هذه الدراسات بمناهجها الحديثة الإضافة الفعلية للكشف عن دلالاته وفهم مقاصده ؟إذ يبقى هذا التساؤل يتردد في أذهان الباحثين في الدراسات القرآنية: **هل** بإمكانهم استثمار المناهج اللغوية الحديثة، وما مدى نجاعتها في تقديم الإضافة الحقيقية إلى ما وصلت إليه علوم القرآن والدراسات اللغوية العربية في عصرها الذهبي؟

ومن الباحثين الذين يعرفون بمنهجيتهم العلمية واحترامهم العلم وموضوعيته الباحث اللغوي الياباني توشيهيكو إيزوتسو الذي اعتمد النص القرآني مادة لغوية – مفهومية التي يبرز من خلالها نظرته لعلم الدلالة وطبق على مفرداته منهج الحقول الدلالية لأجل الوصول إلى النظرة الكلية الشمولية للقرآن الكريم التي يرى من خلالها العالم، ومنه فهم مقاصد القرآن باعتماد المناهج الدلالية، وقد وضّح الغاية من بحثه قائلا: "ولذا فسأركز في القسم الأول من هذا الكتاب على الجانب المادي التطبيقي أقل من الوجه المنهجي لموضوعنا، وذلك من أجل جعل المختصين في دراسة الإسلام يدركون فائدة أن يمتلكوا وجهة نظر جديدة حول مشكلات قديمة، ويدركون قيمة ذلك"[1]

اعتمدت في دراستي هذه المنهج الوصفي حيث قدمت قراءة وصفية تحليلية لما ورد في كتاب كتاب **الله والإنسان في القرآن** وبعنوان رديف **علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم**، وسعيت إلى استخراج ماقدمه توشيهيكو إيزوتسو من مصطلحات ومفاهيم جديدة خاصة بنتاجه الفكري، وقدمت مجموعة من النماذج التوضيحية لإبراز النتائج التي توصل إليها الباحث باعتماده الدراسة الدلالية واستثماره منهج الحقول الدلالية.

[1] – الله والإنسان في القرآن: توشيهيكوإيزوتسو. تر: هلال محمد الجهاد. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2007، ص30

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:03 السنة:2021 الصفحة:258–277 تاريخ النشر:20–12–2021

1. مفهوم علم الدلالة وعلم الدلالة القرآنية[1]:

مرّ علم الدلالة مذ ظهوره –المصطلح – أول مرة إلى الآن بتبنيه مفاهيم عديدة واستثماره مناهج متنوعة في شكل تكاملي لأجل الوصول إلى الدلالة، ولمعرفة الغاية من البحث الدلالي وكذا لتحديد دوافعه. يعرف علم الدلالة على أنه العلم الذي يعنى بدراسة المعنى، وقد وضح اللساني الفرنسي MichellBreal 1883 الذي اقترح دخول هذا المصطلح اللغة العلمية في تعريفه لعلم الدلالة فقال": «إن الدراسة التي ندعو إليها القارئ هي نوع حديث للغاية بحيث لم تسم بعد، نعم»[2] لقد اهتم معظم اللسانيين بجسم وشكل الكلمات، وما انتهوا قط إلى القوانين التي تنتظم تغير المعاني، وانتقاء العبارات الجديدة والوقوف على تاريخ ميلادها ووفاتها.

وبما أن هذه الدراسة تستحق اسما خاصا بها فإننا نطلق عليها اسم "سيمانتيك" للدلالة على علم المعاني[3].

ربط ميشال بريال سيمانتيك بدراسة تطور الكلمة وتتبعها تاريخيا من ميلادها إلى وفاتها، ولذلك اعتقد بعض الباحثين أن علم الدلالة ظهر من رحم المنهج التاريخي، بل إن منهجه أصلا هو المنهج التاريخي»[4]. أو المنهج التطوري التأصيلي الذي يقف على ميلاد

---

[1]– استخدم هذا المصطلح المستعرب توشيهيكو إيزوتسوووضح مفهومه في الصفحة 31 وقد جاء في ترجمة هلال محمد الجهاد المصطلح موسعا بما يوضحه المفهوم "علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم".

[2]– علم الدلالة – أصوله ومباحثه في التراث العربي–: منقور عبد الجليل، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001م، ص 17.

[3]– المرجع نفسه، ص17.

[4]– الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري. صلاح الدين زرال. منشورات الاختلاف. الجزائر .ط1؛.2008.ص 58.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:03 السنة:2021 الصفحة:258–277 تاريخ النشر:20–12–2021

الكلمات ويتتبعها في مسارها التاريخي وقد يردها إلى أصولها الأولى.

تطورت هذه المفاهيم وتنوعت حسب الكفاية المعرفية التي يراد تحققها من البيئة المعرفية المنتجة للمعرفة والساعية لتحقيق الدلالة والغاية من امتلاكها.

ويعد توشيهيكو واحدا من الباحثين الساعين نحو فهم القرآن والكشف عن دلالاته وأداته في تحقيق غايته هي علم الدلالة وقد خصه بمفهوم يجعل منه أداة لمفهمة العالم فيقول:

"علم الدلالة –كما أفهمه – دراسة تحليلية للمصطلحات المفتاحية الخاصة بلغة ما، تتطلع للوصول في النهاية إلى إدراك مفهومي "لرؤية للعالم" الخاصة بالناس الذين يستخدمون تلك اللغة كأداة ليس للكلام والتفكير فحسب، بل الأهم، كأداة لمفهمة العالم الذي يحيط بهم وتفسيره.

إن علم الدلالة بهذا الفهم نوع من "علم الرؤية للعالم" Weltanschauungslehr أو دراسة لطبيعة رؤية العالم وبنيتها لأمة ما، في هذه المرحلة المهمة أو تلك من تاريخها»[1] مجموعة متجانسة من المفاهيم تتيح لنا بنية تصور كوني للعالم انطلاقا من خبراتنا وتجاربنا.

هنا تكمن أهمية الدراسة الدلالية للقرآن الكريم التي تمثل استثمارا للمناهج العلمية والخلوص إلى إدراك رؤية القرآن للعالم ومنه فهم المقاصد القرآنية. انطلاقا من المعجم اللغوي القرآني.

- علم دلالة الرؤية القرآنية للعالم :

قدم توشيهيكو المفهوم الذي يحمله مصطلح "علم الدلالة القرآني" المركب من جزئين علم الدلالة والقرآن أنه يعني وفقط الرؤية القرآنية للعالم أي النظرة القرآنية للكون

[1] – الله والإنسان في القرآن ص31

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:03 السنة:2021 الصفحة:258–277 تاريخ النشر:20–12–2021

فلابد لعلم دلالة القرآن أن يبحث بشكل رئيسي في مسألة كيفية تبنين عالم الوجود في منظور هذا الكتاب الكريم.[1]

فتوشيهيكو ايزوتسو يستثمر المناهج الدلالية للكشف عن التحول الذي قدمه القرآن للفرد العربي بعقد مقارنة بين المعجم اللغوي الجاهلي والمعجم القرآني، هذا التحول الذي مس النظام اللغوي ككل، فإذا تحدثت ببساطة عن ذلك المجتمع العربي الجاهلي الذي لغته العربية وقد نزل عليه نص عربي مبين ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ (يوسف 2) قد وجد فيه شيئا مغايرا لم يعهده ولم يفهمه ولم يعه. مع أن المفردات نفسها والأنظمة الصرفية والنحوية والتركيبية نفسها إلا أن العربي يقف أمام النص القرآني غير قادر على تصنيفه، وقد قلبت العرب تصنيفه بين الكاهن والشاعر والمجنون، فخطب فيهم الوليد بن المغيرة: " والله لقد سمعت من محمد آنفا كلاما، ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن، والله إنّ له لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّ أسفله لمغدق، وإنّه يعلو ولايعلى عليه"[2]

إن النظام المفاهيمي الجديد الذي حمله القرآن الكريم للأمة العربية مغاير لذلك النظام المفاهيمي الجاهلي. فالقرآن الكريم يؤسس لتصور جديد للعالم، انطلاقا من تغيير نظامه اللغوي. والإشكالية تقف عند المقصود بالتغيير وسأقدم أمثلة أتوسم فيها التوضيح أكثر.

ولأن لكل نظام مركزا تعود إليه كل العناصر الأخرى فقد اختار توشيكيهو مجموعة من العناصر أو المفردات التي تشكل النظام المفاهيمي القرآني أو الرؤية القرآنية

[1] – الله والإنسان في القرآن، ص31.

[2] – صحيح السيرة النبوية للحافظ ابن كثير: بقلم محمد ناصر الدين الألباني. المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، دت، ط1، ص80.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:03 السنة:2021 الصفحة:258–277 تاريخ النشر:20–12–2021

للعالم. و لم يكن الاختيار اعتباطيا بل مؤسسا في ضوء ما يراه المحلل الدلالي – باستثماره للمنهجين التاريخي والمقارن – نقلة نوعية لمفهوم المفردة بين المعجم الجاهلي والمعجم القرآني. وما يرى فيه المحلل الدلالي من مفردات ترقى إلى مصاف المصطلحات المشحونة بمفاهيم ودلالات والمكتنزة بأفكار توحي بالتصور القرآني الجديد المغاير للتصور الجاهلي طبعا.

- المصطلحات المفاهيمية في القرآن:

ليس القصد من عمل توشيهيكو تجميع المفردات القرآنية وتصنيفها فحسب، فقد وقف أمام مجموعة من المصطلحات المفتاحية التي انتقاها ومنحها هذه السمة مقارنة مع غيرها من المفردات القرآنية الأخرى، والتي بإمكانها تمييز النظام ككل وقد أشار أن هذا الاختيار يخضع في جانب منه إلى الاعتباطية إلا أنه يؤكد على حرصه ويؤكد على المحلل الدلالي أن يتحرى اختياره للكلمات التي تؤدي دورا حاسما وحقيقيا في تشكيل البنية المفهومية للرؤية القرآنية للعالم. فليست مفردات اللغة كلها تحمل القيمة نفسها لتشكيل التصور المفاهيمي أو الرؤية الكونية. وبالتالي لابد من تحري الدقة في انتقاء المفردات التي ترقى لمصاف المصطلحات المفتاحية لاستثمارها في الاطلاع على الرؤية القرآنية للعالم. [1]

ووضح درجات أهمية المفردات في تشكيل رؤية العالم بتقديم مثال عن مفردات قرآنية رغم أهميتها إلا أن هذه الأهمية تترتب في درجات، فاختار على سبيل المثال مفردات القرطاس ثم الشاعر ثم النبي. على هذا الترتيب وأشار إلى قيمة مفردة النبي في المعجم القرآني مقارنة بمفردتي الشاعر والقرطاس.

- مبادئ التحليل الدلالي للقرآن الكريم :

[1] – ينظر: الله والإنسان في القرآن، ص51–53.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:03 السنة:2021 الصفحة:258–277 تاريخ النشر:20–12–2021

التحليل الدلالي ليس تحليلا بسيطا للبنية الشكلية لكلمة ما، أعني دراسة تعنى بأصل الكلمات وتاريخها أو "إيتيمولوجيا" فالإيتيمولوجيا، حتى عندما نكون محظوظين كفاية لنعرفها، يمكن أن تمدنا فقط بمفتاح كالذي يمدنا به المعنى الأساسي لكلمة ما، ولابد أن نتذكر الإيتمولوجيا تظل في غالب الأحيان عملا تخمينيا محضا، وكثيرا ما تكون لغزا لا يحل إن التحليل الدلالي في تصورنا شيء يعتزم الذهاب بعيدا وراء ذلك، ويسعى إلى أن يكون علما للثقافة، إذا أردنا تصنيفه»[1]

- **الحقول الدلالية والرؤية القرآنية للعالم:**

الحقل الدلالي كتلة كاملة من كلمات مرتبة في نمط دال ممثل لمنظومة مفهومات مرتبة ومبنية وفقا لمبدأ التنظيم المفهومي».[2]

فالحقول الدلالية لا تحمل الثروة اللّفظية فحسب بل تحمل مفهوم العالم عند المجموعة اللغوية التي تتشكل في ذهنها هذه الحقول ضمن نمط حياة معين، فالكلمات العربية التي نجدها في القرآن الكريم هي نفسها تلك الكلمات المستعملة في مكة إلا أن النظام المفهومي مختلف، هذا التحول هو محط اهتمام الباحث الدلالي الذي هدفه البحث عن رؤية القرآن الكريم للعالم، في زمانه وفي أزمنة متعددة ومتتالية.

استثمر توشيهيكو أدوات منهج الحقول الدلالية وانطلق من فكرة مفادها أن المجموعة الاجتماعية الواحدة تحمل معجما لغويا واحدا، كما تؤكد دراسات عديدة أن نظرية الحقول الدلالية تمتد إلى نظرية رؤية العالم لهمبوليدت والتي يقوم مبدؤها على أن اللغة هي الفكر فقد عرف اللغة بأنها ظاهرة متحولة وليست ظاهرة ثابتة، وأصر على أن المظهر الثابت للغة ظاهري فحسب. كما يرى أن اللغة هي نتاج متميز لروح أمة بعينها

[1] – المرجع نفسه، ص 51.

[2] – الله والإنسان في القرآن، ص 50.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:03 السنة:2021 الصفحة:258–277 تاريخ النشر:20–12–2021

والتعبير الخارجي عن البنية الداخلية يميط اللثام عن رؤية خاصة للعالم... ومن هنا سميت نظريته رؤية العالم[1]

إذن فرؤية العالم نتاج الطريقة التي يفهم بها المجتمع عالمه، إذ يحوله إلى مجموع من المفاهيم المتعالقة في شبكة ضخمة معقدة أو كل منظم من المفاهيم التي يتضمنها معجم المجتمع بحيث يعبر عن وجوده وأسلوبه في فهم العالم وتنظيمه والتفاعل معه». [2]

- **اختيار المصطلحات المفتاحية:**

تخير توشيهيكو من المعجم القرآني مفردات توسم فيها إبراز الرؤية القرآنية للعالم وأطلق عليها المصطلحات المفتاحية تمثلت هذه المصطلحات في: الله، وحي، نبي، إسلام، إيمان، كفر، أمة.... فهل هذه المصطلحات كفيلة بتشكيل الرؤية القرآنية للعالم؟

في الحقيقة، أن المسألة ليست مسألة كلمات مفتاحية قليلة تؤخذ منفصلة، بقدر ما تقدمه تلك الكلمة حين تجتمع مع غيرها من الكلمات تحت حقل مفاهيمي يكتسب في القرآن بعدا رمزيا قرآنيا، يتنقل بالمفردة من مفهومها الدلالي المادي إلى مستوى روحي ديني.

- **المعنى الأساسي والمعنى العلائقي:**

انتهج توشيهيكو في تحليله الدلالي مقاربة المفردة من وجهين إذ تحمل المفردة مبدئيا معنيان، معنى مركزي ومعنى علائقي.

المعنى الأساسي: شيء متأصل للكلمة نفسها تحمله معها أنى ذهبت

[1]– نقلا الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري. صلاح الدين زرال. منشورات الاختلاف. الجزائر .ط1؛ 2008، ص185.

[2]– الله والانسان في القرآن، ص374.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:03 السنة:2021 الصفحة:258–277 تاريخ النشر:20–12–2021

المعنى العلائقي: إن معنى كلمة ما لا يستنفذ بواسطة معناها الأساسي، بل إن لها معنى علاقيا وهذا الاخير يأتي دوما من الاتحاد الجوهري الذي تدخل فيه ضمن نظام معين، تحتل فيه موقعا خاصا في حقل خاص، مرتبطة بعلاقات متعددة الأشكال بكل الكلمات المهمة الأخرى في ذلك النظام. [1]

- **المقارنـــة:**

اعتمد توشيهيكو مبدأ المقارنة بين المفردة ضمن حقلها الدلالي في المعجم اللغوي الجاهلي بالرجوع بها إلى أصولها التاريخية في العصر الجاهلي وتحليلها دلاليا بمقابلتها بدلالتها الجديدة ضمن حقل مفاهيمي جديد أسسه المعجم اللغوي القرآني.

- **العـــزل:**

أكد توشيهيكو على أن علم دلالة القرآن مصدره النظام القرآني فحسب والحرص على عزل هذا النظام عن الأنظمة المفاهيمية التي انبثقت عنه في العصور الإسلامية اللاحقة والتي تشكل أنظمة مفاهيمية لها صلة وثيقة بالنظام القرآني، لدرجة يصعب وضع الحدود بينها، إلا أنها في الواقع تملك نظاما مفهوميا خاصا بها تشكل من النظام القرآني فعلا إلا أنه تنعكس فيها صورة التفكير الخاص بواقع المفكر أو المفسر أو البيئة والعصر التي انبثق عنها هذا التصور المفاهيمي الديني والذي لا يمكن ان نساويه أو نطابقه بالتصور المفاهيمي القرآني .

وقد وضع توشيهيكو نماذج توضيحية مهمة جدا لمصطلحات ضمن النظام القرآني وحاول توضيح التصور المفاهيمي الذي تحمله داخل النظام المفاهيمي القرآني ومقابلتها بالتصورات التي تحمها داخل الأنظمة البعد قرآنية واختار نظام سمها العلوم الدينية ويقصد من ذلك علم الكلام والنظام المفاهيمي الصوفي والنظام المفاهيمي الفلسفي.

[1]– ينظر: المرجع نفسه، ص 45.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:03 السنة:2021 الصفحة:258–277 تاريخ النشر:20–12–2021

2. الرؤية القرآنية للعالم والإعجاز القرآني:

المعجزة في الاصطلاح هي: «الأمر الخارق للعادة السالم من المعارضة، يجريه الله على يد النبي، تصديقا له في دعوى النبوة». [1]

لم يظهر مصطلح الإعجاز أو المعجزة في النظام اللغوي القرآني[2] إنما هو مصطلح أنتجته الأنظمة اللغوية بعد القرآنية فقد علم أولا بمفهوم التحدي الذي ذكره الله عز وجل بدرجات في القرآن الكريم يتحدى فيها العرب الخلص وأرباب الفصاحة والبيان الذين رأوا في أنفسهم امتلاك ناصية اللغة.

والبلاغة أن يأتوا بمثل القرآن أو بمثل جزء منه وهو تحد لغوي بياني بالضرورة فذاك مارأوا فيه كمالهم براعتهم فتحداهم القرآن فيه وأظهر لهم عجزهم. قال تعالى ﴿**قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾. (الإسراء 88)

إلا أن الاختلاف حاد لدرجة عدم القدرة على تقليده فما بالك انتاج نص مشابه له، ومن هذا التميز لو افترضنا أن القرآن من عند محمد لكان النظام اللغوي الجاهلي والقرآني متماثلان أو على الأقل متقاربان، فما موطن عجز العربي وفشله في التحدي مع أنه يمتلك كل مقومات الإنتاجية اللغوية في صور ابداعية متعددة؟

ولذا افترض زعماء قريش وحكماؤها وجود قوة تملي على محمد قرآنه فاتهموه أنه الشاعر أو الكاهن أو المجنون و لم ينسبوا له تأليفه أو كتابته.

قد تعرض المسلمون بمختلف توجهاتهم وتغاير زاوية نظرهم وحتى تخصصاتهم وكذا المستشرقون لظاهرة الإعجاز من مناحي عديدة، وأفضت بهم إلى نتائج متقاربة

[1] – صلاح عبد الفتاح الخالدي، البيان في اعجاز القرآن، دار عماد، عمان، الاردن، ص23 .

[2] – ينظر: محمود محمد شاكر، مدخل إعجاز القرآن، دار المدني بجدة، مطبعة المدني، ص 48.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:03 السنة:2021 الصفحة:258–277 تاريخ النشر:20–12–2021

ومتباينة، ليس المقام مقام عرضها ولكن الشاهد الذي يخدمنا في هذا الطرح أتمثله في أحد الأمرين أولهما: مقابلة المنكرين للمصدر الرباني للقرآن الكريم بين عصر التنزيل والمستشرقين. ولنرى هنا مفارقة ببين المنكر للقرآن من العرب الخلص في زمن التلقي وبين المنكر لأصله في العصور اللاحقة له التي تنسب القرآن إلى محمد صلى الله عليه وسلم و لم يدركوا استحالة صدوره من واحد من المجموعة اللغوية العربية الجاهلية لتغاير الرؤية الكونية بين المنتسب لهذه المجموعة وبين ما جاء به القرآن.

يقول المستشرق شيبس: "يعتقد بعض العلماء أن القرآن كلام محمد، وهذا هو الخطأ المحض، فالقرآن هو كلام الله تعالى الموحى على لسان رسوله محمد، ذلك الرجل الأمي في تلك العصور الغابرة أن يأتينا بكلام تحار فيه عقول الحكماء ويهدي به الناس من الظلمات إلى النور. وربما تعجبون من اعتراف رجل أوروبي بهذه الحقيقة، لا تعجبوا فإني درست القرآن فوجدت فيه تلك المعاني العالية والنظم المحكمة. وتلك البلاغة التي لم أر مثلها قط، فجملة واحدة تغني عن المؤلفات". [1]

وإن كان عدد من المستشرقين انبهروا ببراعة القرآن الكريم وبلاغته واهتدت بهم عقولهم وأذواقهم إلى اثبات مصدر القرآن الرباني ونفي فكرة تأليف محمد صلى الله عليه وسلم له، وكانت أداتهم في إصدار هذا الحكم الوقوف على بلاغته وبيانه وبراعة شكله ونظمه أو ما عرف عند المتأخرين بالإعجاز التاريخي والغيبي والعلمي، لكن المنهج الذي اعتمده توشيهيكو في اثبات مصدر القرآن الكريم كان منهجا لغويا دلاليا تحرى فيه الضوابط المنهجية والموضوعية العلمية أفضى به إلى نتيجة تثبت نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وتنفي عنه تهمة تأليف القرآن وتصنيفه على أنه وحي يوحى.

[1] – نقلا عن إعجاز القرآن: عبد القادر صالح العاني. عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2010، ص44.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:03 السنة:2021 الصفحة:258–277 تاريخ النشر:20–12–2021

وبالتالي يمكن اختصار هذه المفاهيم فيما يأتي:

1. المجموعة الاجتماعية الواحدة تنتج نظاما لغويا موحدا
2. محمد الأمي ينتمي لهذه المجموعة. ⟺
3. لم ينفصل عن هذه المجموعة ليستقر مع مجموعة لغوية أخرى.

النتيجة المفروضة: المعجم القرآني مطابق للمعجم العربي الجاهلي.

النتيجة في الواقع: المعجم القرآني متميز عن المعجم العربي الجاهلي.

والنماذج المؤكدة لذلك غزيرة وواضحة على رأسها المصطلحات القرآنية المفتاحية كما اصطلح عليها توشيهيكوايزوتسو والتي تدور كلها حول كلمة مركز وهي "الله" فمفردة " الله" موجودة في المجتمع الجاهلي إلا أن الرؤية الجاهلية لهذه الكلمة تختلف جوهريا عن الرؤية القرآنية.

"فالوحي القرآني عندما بدأ باستعمال هذه الكلمة لم يأت باسم جديد للإله غريب وغير مألوف لأسماع معاصريه العرب." فالقرآن الكريم يستثمر مفردات معهودة ليقدم مفاهيم جديدة يهيئ بها لرؤية مغايرة للعالم تختلف اختلافا جوهريا للرؤية العربية المزامنة للتنزيل، هذه الرؤية المبنينة لغويا كانت محطة فصل في التغيير.

فالدلالة القرآنية لا يمكن بأي شكل من الأشكال البحث عنها داخل المعجم الجاهلي لأن القرآن أسس لمفاهيم جديدة باستثمار اللغة العربية وبالتالي علم الدلالة العربي ليس هو نفسه علم الدلالة القرآني لأن المصطلحات المفتاحية القرآنية تحمل رؤية جديدة للعالم تدفع بالإنسان إلى الانتقال من الجهل إلى العلم ومن الشرك إلى التوحيد ومن الضعف إلى القوة ومن الفرقة إلى الوحدة، مفاهيم كثيرة جديدة لبست ثوب كلمات عربية قديمة وانتقلت باللغة العربية من لغة مجموعة اجتماعية إلى رؤية عالمية كونية ولذا فالقرآن ليس رسالة عربية بل رسالة إنسانية منفتحة على الحدود الزمانية

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:03 السنة:2021 الصفحة:258–277 تاريخ النشر:20–12–2021

والمكانية تغير العالم بالكلمات هذا التواصل اللغوي المستمر والدائم على المحلل الدلالي أن يحاول الفهم انطلاقا تلك المبادئ التي تم رصدها سابقا وعلى رأسها تحديد المركزية والعزل عن فهم الفهم والتركيز على النص في ذاته.

العلاقة التواصلية بين الله والإنسان:

تسير العلاقة التواصلية بين الله والإنسان في النظام القرآني في اتجاهين من الله إلى الإنسان ومن الإنسان إلى الله ووفق نمطين تواصليين لغوي وغير لغوي.

تتمثل العلاقة التواصلية غير اللغوية في اظهار الله آياته الكونية للإنسان واستجابة الإنسان لهذه المعجزات والآيات الربانية بممارسة ما يدل على الخضوع والتعبد كأداء الصلاة.

أما العلاقة التواصلية اللغوية فتتمثل في كلام الله (القرآن، الوحي، القول الثقيل...) وفي الاتجاه التصاعدي يتواصل الإنسان مع الله لغويا بالدعاء.

وهذا مخطط يجمل العلاقة التواصلية بين الله والإنسان في نمطيها اللغوي وغير اللغوي:

المخطط:

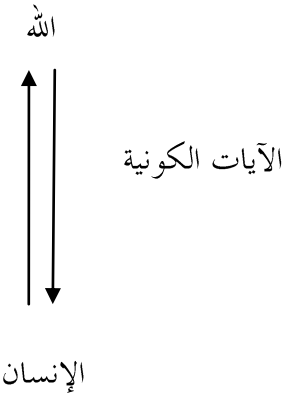

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:03 السنة:2021 الصفحة:258–277 تاريخ النشر:20–12–2021

- التواصل اللغوي بين الله والإنسان: أو المقاربة الدلالة للقرآن الكريم:

يعتبر المفهومان متطابقان من جهة أن التواصل اللغوي بين الله والإنسان يمثل بمصطلح آخر كلمة الوحي أو كلام الله، وتحقق التواصل يعني بالضرورة مرور الدلالة إلى المرسل إليه. مع أن أطراف التواصل هاهنا غير اعتيادية وفوق الطبيعية لأنه تواصل في الاتجاه شاقولي ينطلق من الأعلى إلى الأسف، يمثل الأعلى فيه قوة عظمى وخارقة ويمثل الأسفل منه المتلقين أولهم مبلغ الرسالة عن ربه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وكل متلق إنساني لهذا الوحي.

ولأن هذه العلاقة غير اعتيادية فهي بحاجة إلى وسيط ينقلها والمتمثل في جبريل عليه السلام.

يمكن أن نمثل التواصل اللغوي بين الله والإنسان في المخطط الآتي:

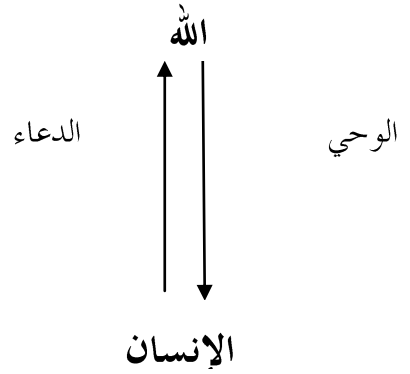

يمثل التواصل اللغوي نوعا خاصا من التواصل الله – إنسان، يحمل هذا التواصل ميزة خاصة لتمايز أطرافه من الناحية الوجودية الأنطولوجية، إذ كانت انطلاقته التاريخية لحظة أمر الله عبده محمدا صلى الله عليم وسلم بالقراءة، فكانت البداية الفعلية لظهور الإسلام بنزول كلام الله والذي يمثله مصطلح "الوحي". تعد مفردة "الوحي" من

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:03 السنة:2021 الصفحة:258–277 تاريخ النشر:20–12–2021

المصطلحات المفتاحية في الرؤية القرآنية للعالم إذ تشكل تطورا مفاهيميا مهما بين المعجمين الجاهلي والقرآني.

فقد عرف العرب مفردة "الوحي" على أنها" الإشارة والكتابة والإلهام والكلام الخفي، وكل ما ألقيته إلى غيرك يقال: «وحيت إليه الكلام وأوحيت، وهو أن تكلمه بكلام خفي»[1]. وجاء في مقاييس اللغة: «الواو والحاء والحرف المعتل: أصل يدل على إلقاء علم في إخفاء أو غيره إلى غيرك"[2]. فالوحي: "الإشارة. تقول العرب وحي يحي وحيا، أي كتب يكتب كتبا قال العجاج: لقدر كان وحاه الواحي»[3]. ولأن جهل الكتابة عند أغلب العرب فقد سموها وحيا لخفائها عنهم ولأنها رموز يعتريها الغموض.

واستعملت مفردة الوحي في أشعار العرب مرادفة للكلام لكن في سياقات خاصة، يكون فيها طرفا الحوار مختلفين وجوديا إما في كلام الإنسان مع الحيوان أو في إملاءات الجن للشعراء حسب ما ترويه المرويات العربية عن الحضارة الجاهلية إذن فالوحي يطلق على:

1. تواصل بين شخصين طرفين
2. ليس لفظيا بالضرورة
3. يمتاز بالغموض والسرية

[1]– الصحاح: إسماعيل بن حماد الجوهري. تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، دط، دت، مادة (و، ح، ي)

[2]– معجم مقاييس اللغة :أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء. تح: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر للطباعة والنشر، ج6، ص93، مادة و، ح، ى.

[3]– كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي. تح: مهدي المخزومي وإبراهيم أنيس. دار ومكتبة الهلال، دط، دت، ج3، ص320.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:03 السنة:2021 الصفحة:258–277 تاريخ النشر:20–12–2021

اختار القرآن الكريم هذه المفردة للدلالة على العلاقة التواصلية الله– إنسان.

فمثل مصطلح "الوحي" الرسالة الكلامية التي خاطب بها الله الإنسان ليحمل بذلك رؤية جديدة لم يعهدها فيها العرب في ثقافتهم الجاهلية أو بالأحرى في رؤيتهم للعالم، فقد كانت مفردة الوحي حاضرة في المعجم اللغوي العربي بالخصوصية الدلالية الموضحة سابقا على أنه خطاب يشوبه الغموض أو بين طرفين غير متطابقين وجوديا ولكن حدود رؤيتهم الكونية حصرت استعمال المفردة في الخطابات التي يكون الطرف الثاني المشارك للإنسان في خطابه إما الحيوان أو الجن.

وقد أخذت المفردة بعدا مفاهيميا جديدا ضمن الرؤية القرآنية المؤسسة لنظام مغاير للنظام الجاهلي. مع استعمال النظام القرآني لتلك المفاهيم الأساسية في سياقات متعددة، وتميز المفردة وارتقائها إلى مصاف الاصطلاحية أو المعنى العلائقي كما اصطلح عليه توشيهيكو في تصنيفه المعنى إلى أساسي وعلائقي، الذي يتجلى حين تدور الكلمة مع أخواتها الكلمات المشكلة لحقل مفاهيمي الكلمة المركز فيه "الله" بمعناها الجديد الذي قدمته الرؤية القرآنية للعالم.

وقد وردت مفردة الوحي في القرآن الكريم بوجوهها الصرفية المتنوعة أكثر من ثمانين مرة[1]، ووظفت بمعناها الأساسي الذي استعملته العرب كقوله تعالى: ﴿**وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ**﴾ النحل86.

﴿**وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ**﴾ **الأنعام121** ﴿**بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا**﴾ **الزلزلة5**

[1]– ينظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي. دار الحديث، القاهرة، 2008، دط، ص836–837.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:03 السنة:2021 الصفحة:258–277 تاريخ النشر:20–12–2021

ووظفت إلى جانب معناها الأساسي معناها العلائقي الذي منحها إياه اشتراكها في النظام اللغوي القرآني. كقوله تعالى: ﴿**وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ**﴾الشورى 51 وفي الآية تأكيد على أن العلاقة التواصلية الله –إنسان تشترط وجود وسيط ناقل للوحي، فالقرآن هنا يؤسس دلاليا لبعد مفاهمي جديد للمفردة، يمثل الرؤية القرآنية، ويمكن اكتشاف المعنى الجديد في تجاورها مع كلمات مفتاحية أخرى ضمن حقل مفاهيمي يلغي المعنى الأساسي ويثبت لها معناها العلائقي على النحو الآتي:

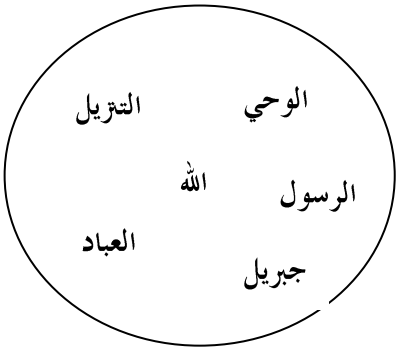

فالعلاقة التواصلية الله – إنسان في شقها المتمثل في الوحي الذي يسير في مسار تنازلي تمثل علاقة تواصل ممتدة غير محدودة الزمان والمكان، فالفعل وحى يستدعي بالضرورة حضور طرفين والعلاقة الكلامية بين الله والإنسان تمثل رؤية جديدة غير معهودة، فالوحي كلام الله المستمر مع الإنسان يقدم رؤية العالم كما يجب أن تكون في شكل نظام يخدم الإنسان في حياته الدنيا والآخرة، واللافت هنا هو الإشارة إلى آخر الرسالات الربانية وتأييدها بمعجزة مستمرة ودائمة يلجأ إليها الإنسان ليسعد، ولذا فمفردة الوحي مفردة مفتاحية تخدم المحلل الدلالي ليوضح الرؤية القرآنية للعالم، لكنها

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:03 السنة:2021 الصفحة:258–277 تاريخ النشر:20–12–2021

تعمل في شكل تكاملي مع كلمات أخر ولا يمكن فصلها عن هذا النظام المفاهيمي المتشابك ذو المركزية الإلهية.

الخاتمـــة:

وفي خاتمة هذه الورقة البحثية يمكننا أن نخلص إلى مجموعة من النتائج أهمها:

- المبادئ التي يكرسها منهج علم الدلالة في مقاربته للقرآن الكريم وفق ما قدمه توشيهيكو إيزوتسو القرآن توجهنا إلى فكرة النظرة الشمولية التكاملية التي تبناها توشيهيكو في تحليل مفردات القرآن الكريم والتي تحيلنا بالضرورة إلى فهم منهج القرآن الكريم والتعمق أكثر في فكرة الإعجاز.

- مفاهيم كثيرة جديدة لبست ثوب كلمات عربية قديمة وانتقلت باللغة العربية من لغة مجموعة اجتماعية إلى رؤية عالمية كونية ولذا فالقرآن ليس رسالة عربية بل رسالة إنسانية منفتحة على الحدود الزمانية والمكانية تغير العالم بالكلمات.

- لقد أثبت توشيهيكوإيزوتسو بدراسته هذه التي تبدو للوهلة الأولى دراسة سطحية بسيطة تتمثل في تجميع الكلمات ضمن حقول، أن مصدر القرآن الكريم ليس محمدا صلى الله عليه وسلم وليس واحدا من المجموعة اللغوية المنتسبة لشبه الجزيرة العربية، وإنما مصدره قوة أكبر.

- يمكننا الإجابة مبدئيا عن التساؤل الذي يقدمه هذا البحث، وهو أن علم الدلالة القرآني يفتح أمام القارئ أدوات جديدة تتيح له القراءة الشمولية التكاملية للوصول إلى **الرؤية القرآنية للعالم التي تتشكل في شبكة مفاهيمية تمثل العلاقة التواصلية الله – إنسان**. وأظنه المطلوب الذي يسعى إليه المسلم.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ر ت م د: 1112–4040، ر ت م د إ: 2588–X204
المجلد:35 العدد:03 السنة:2021 الصفحة:258–277 تاريخ النشر:20–12–2021

قائمة المصادر والمراجع:

1. الصحاح :إسماعيل بن حماد الجوهري. تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، دط، دت، مادة (و، ح، ي)

2. إعجاز القرآن: عبد القادر صالح العاني. عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2010.

3. البيان في اعجاز القرآن :صلاح عبد الفتاح الخالدي. دار عماد، عمان، الاردن.

4. صحيح السيرة النبوية للحافظ ابن كثير: بقلم محمد ناصر الدين الألباني. المكتبة الإسلامية، عمان، الأردن، دت، ط1

5. الظاهرة الدلالية عند علماء العربية القدامى حتى نهاية القرن الرابع الهجري. صلاح الدين زرال.منشورات الاختلاف.الجزائر. ط1؛.2008.

6. علم الدلالة –أصوله ومباحثه في التراث العربي–: منقور عبد الجليل، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001م.

7. كتاب العين: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي. تح: مهدي المخزومي وإبراهيم أنيس. دار ومكتبة الهلال، دط، دت، .

8. الله والإنسان في القرآن: توشيهيكو إيزوتسو. تر: هلال محمد الجهاد. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 2007.

9. مدخل إعجاز القرآن :محمود محمد شاكر. دار المدني بجدة، مطبعة المدني.

10.المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: محمد فؤاد عبد الباقي. دار الحديث، القاهرة، 2008، دط.

11.معجم مقاييس اللغة :أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء. تح: عبد السلام محمد هارون. دار الفكر للطباعة والنشر.